

عدد خاص بالملتقى الدولي

(العلوم الإسلامية من الرصيد التاريخي إلى التفعيل الحضاري)

مناهج التأصيل في العلوم الشرعية - دراسة مقارنة بالعلوم الاجتماعية

**Rovting curricula in sharia sciences
-a comparative Study with social sciences**

د. هارون الرشيد بن موسى *

مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة (الجزائر)

haroun.benmoussa@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/06 تاريخ القبول: 2022/07/02 تاريخ النشر: 2022/11/30

ملخص:

يتطرق البحث إلى مدى صلة كل من العلوم الإسلامية والاجتماعية بالحقيقة وذلك استنادا إلى المناهج التي اتبعها كل منهما في الوصول إليها. وسبيل العلوم الإسلامية هو القرآن الكريم والسنة المتواترة اللذان عرفا بأصالتها وهذا بشهادة الغربيين فضلا عن المسلمين، أما المناهج التي استخدمها المسلمون فنابعة من المصدرين الأصليين (القرآن والسنة) وتمثلت في منهج المحدثين والأصوليين والمؤرخين أنبأت عن حرص المسلمين الشديد وتورعهم في الوصول إلى الحقيقة وذلك باتباعهم مناهج غاية في الدقة في حين لم تصل المناهج التي ابتكرها الغربيون لذلك لغياب الدافع. الكلمات المفتاحية: العلوم الإسلامية، العلوم الاجتماعية، التأصيل، مناهج البحث، الوحي.

* المؤلف المرسل

Abstract :

This research addresses the relevance of both Islamic and social sciences to the truth. And according to the methods that each science followed to gets to it.

The Holy Koran and the frequent Sunnah are the paths of Islamic sciences, which are known as their origins, by the testimony of Westerners as well as Muslims. Either curricula which used by Muslims are derived from the original exporters (Quran and Sunna), This was reflected in the curriculum of modernists and fundamentalists, historians, and revealed Muslims' eagerness and dedication to the truth. By adopting very precise approaches, while the curricula devised by Westerners did not get it, because of their lack of motivation.

Keywords: Islamic Sciences; Social Sciences; Rooting; Research Curriculum; Revelation.

1-مقدمة:

اعتنى العلماء والمؤرخون منذ سالف الزمان على العناية بالعلوم وأنواعها وأصولها وتطورها وجميع ما يتعلق بها، فأفردوا في ذلك المصنفات وكتبوا في ذلك الكتب حتى صار علما قائما بذاته.

ولا شك أن أهمية أي علم وقيمه ترجع إلى مدى تأصيله وقوة حجته فهذا مما يعطيه مصداقية وقبولاً ويحفز الناس على طلبه والإقبال عليه.

وقد أشارت الباحثة عائشة عبد الرحمن في كتابها مقدمة في المنهج إلى أهمية تأصيل العلوم بقولها: "ولا ينبغي لنا أن يفوتنا ما قد يلابس هذه الدعوة إلى العلمية من شوائب القصور والمتمثل في تعجل الوصول إلى عصر العلم دون تأصيل لمنهجه، عن ظن بأننا نستطيع أن نأخذ بما حققته الدول التي سبقتنا على الطريق، غير ملتفتين إلى الطريق نفسه من أين بدأ وكيف اتجه وسار"¹ ولا نبالغ إذا اعتبرنا العلوم الشرعية في مقدمة العلوم التي عرفت بتأصيلها القوي وحجتها الدامغة، وهو ما اعترف له المستشرقون المنصفون وتوالت بذلك تصريحاتهم وشهاداتهم في حين نجد تلافي وسقوط شبه غيرهم من الحاقدين والمتعصبين وأذنانهم من الحداثيين.

¹ عائشة عبد الرحمن، مقدمة في المنهج، مركز التراث للبحوث والدراسات (مصر) ط1 01 1440-2019 م ص 17.

فبعد المصبرين الأصليين القرءان والسنة اللذين احتويا على منهاج حياة شملا جميع أنواع الإعجاز استنبط العلماء المسلمون منهما مناهج للتأصيل المتمثلة في منهج المحدثين والأصوليين، وفي المقابل نجد بعض المناهج التي ابتكرها علماء النفس والاجتماع والمتمثلة في المنهج الوصفي ومنهج المسح دراسة الحالة التاريخي أو الوثائقي، فأيهما أقرب للحقيقة والموضوعية وأدنى للصواب المنهج الإسلامي أم مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية؟ ما هي السمة التي تميز مناهج العلوم الشرعية؟ هل هي أصيلة نابعة من مصادر التشريع لدى المسلمين أم أنها مأخوذة من تراث اليونان كما يروج له البعض؟ هل كان لها تأثير في بعض المناهج التي عرفت أوروبا إبان عصر النهضة؟ وقد اتبعنا في الإجابة عن هذه الأسئلة المنهج السردى التاريخي أثناء تعرضنا للتعريف بهذه المناهج وكذلك التحليلي أثناء شرحنا وتقويمنا ومقارنتنا لهذه المناهج بعضها ببعض كما اعتمدنا على الخطة التالية:

1-مقدمة.

2-الإطار المفاهيمي للدراسة

3-مناهج التأصيل بين العلوم الشرعية والاجتماعية

4-الخاتمة.

2- الإطار المفاهيمي للدراسة:

2-1 تعريف التأصيل:

لغة: مشتق من الفعل أصل، وقد جاء في المعجم الأصل أسفل كل شيء... "وأصل الشيء: صار ذو أصل... ويقال استأصل هذه الشجرة أي ثبت أصلها،² ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا صُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۚ﴾ (ابراهيم: 24)

اصطلاحاً: استعمل المصطلح في العديد من الفنون فاستعمل في الميراث وفي إسلامية المعرفة وفي أصول الفقه... الخ وكل فن استعمل المصطلح بطريقة تختلف عن الآخر، ولعل التعريف الذي يقترب من دراستنا هو تعريف زكي ميلاد في مجلة النبأ والذي جاء فيه: "الاستناد إلى أصل واضح ومتماك، وهذا الأصل إما أن يكون على صورة دليل أو على صورة قاعدة، والدليل إما أن يكون من الشرع كتاباً وسنة، أو من العقل، أو من الإجماع. والقاعدة إما أن تكون من الفقه فتكون قاعدة فقهية، أو من أصول الفقه فتكون قاعدة أصولية، أو من العقيدة والكلام فتكون قاعدة كلامية، أو من اللغة فتكون قاعدة لغوية، أو من العرف فتكون قاعدة عرفية".³

والملاحظ على التعريف أنه جعل الأصلين المجمع عليهما الكتاب والسنة في مرتبة واحدة مع العقل المختلف فيه فهناك المعلي من شأنه المغالي فيه، وهناك المضعف لقيمته المقزم لدوره وهناك المتوسط، وهذا لا يستقيم، كما أنه جعل من القواعد الفقهية أصولاً يمكن أن يستند إليها الباحث وهذا يتنافى مع تعريف التأصيل الذي يعني الثبات والاستقرار، إذ لا يمكن الاعتماد في التأصيل على مصدر متنازع فيه فهناك من قائل بأنها تتبع الأصل الذي استنبطت منه ومنهم من قال بعدم جواز الاحتجاج بها لأن اثبات الأصول لا يصح إلا بأدلة قطعية، والقاعدة هي ثمرة الاستقراء وليس من المعقول أن نجعل الثمرة دليلاً لاستنباط فروع أخرى.

² ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف الاسكندرية ص 89.

³ زكي ميلاد، التأصيل والحدأة مفارقة أم معانقة، مجلة النبأ، عدد 85، 1428 هـ 2007 م ص 01.

2-2 تعريف العلوم الحكمية والشرعية والفرق بينهما:

أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته إلى طبيعة العلوم التي يتداولها البشر وقسمها إلى قسمين: الأولى طبيعية يصل إليها بفكره وعقله لا مجال فيها للوحي وسماها بالعلوم الحكمية والفلسفية، والثانية نقلية تستند إلى الوحي ولا مجال فيها للعقل أو الفكر وسماها بالعلوم النقلية الوضعية، وفي ذلك يقول:

"اعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار تحصيلًا وتعليمًا هي على صنفين: صنف طبيعي للإنسان يهتدي إليه بفكره، وصنف نقلي يأخذه عن وضعه. والأول هي العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإنسان بطبيعة فكره، ويهتدي بمداركه البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها وأنحاء براهينها ووجوه تعليمها حتى يفقه نظره ويحثه على الصواب من الخطأ فيها من حيث هو إنسان ذو فكر.

والثاني هي العلوم النقلية الوضعية وهي كلها مستندة إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول، لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد وضعه، فتحتاج إلى الإلحاق بوجه قياسي إلا أن هذا القياس يتفرع عن الخبر بثبوت الحكم في الأصل، وهو نقلي، فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه، وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيؤها للإفادة، ثم يستتبع ذلك علوم اللسان العربي الذي هو لسان الملة وبه نزل القرآن".⁴

3-2 تعريف العلوم الاجتماعية:

يشير مصطلح العلوم الاجتماعية إلى التخصصات الأكاديمية التي تهتم بالمجتمع وعلاقات الأفراد مع بعضهم داخل المجتمع وتعتمد في الأساس على مناهج تجريبية، وعادة ما يستخدم كمصطلح شامل للإشارة إلى علم الإنسان وعلم الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع، وقد يشمل غالبًا بمعناه الأوسع العلوم الإنسانية.⁵

و يمكن أن نطلق على العلوم الإسلامية علوما إنسانية لأنها تهتم أيضا بالإسلام، والفرق بينها وبين العلوم الاجتماعية أن اعتماد الأولى على الوحي، والثانية على التجربة.

⁴ ابن خلدون، المقدمة، تحقيق شرح وفهرسة سعيد محمود عقيل دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط 1 2005م-1426م ص 372.

⁵ "humanity" 2.b, Oxford English Dictionary 3rd Ed. (2003)

ومن خلال الفروق بين العلوم الإسلامية وغيرها من العلوم الفلسفة والعلوم الاجتماعية. يمكننا تحديد مصادر المعرفة والمتمثلة في ثلاثة: الوحي بالنسبة للعلوم الإسلامية، العقل بالنسبة للعلوم الحكمية، العينة بالنسبة للعلوم التجريبية.

4-2 بين الوحي والعقل: منهج تأصيل العلوم الشرعية:

سبقت الإشارة إلى أن العلوم الشرعية تعتمد على الوحي لا على الحس، ولعل السؤال الأول الذي يطرح نفسه هو كيف نصل إلى معلومات يقينية لأمر غيبية غير خاضعة للتجربة والمشاهدة ؟

يجيب عن ذلك الشيخ البوطي بقوله: سبيل ذلك طريقين:⁶

أحدهما: طريق الاعتماد على الخبر اليقيني الذي يرقى إلى درجة التواتر، فإذا توفر هذا الخبر المتصل بيننا وبين أمر معنوي أو غيبي غير خاضع للحس فلا ريب أن من شأن هذا الخبر أن يكسبنا اليقين، وهذا منهج علي عالي يتعامل معه العالم الإنساني أجمع، فهو كالعملة العالمية الرائجة... العالم كله موثق بأخبار الثورة الفرنسية وأحداث الحرب الأولى والثانية، والناس كلهم يستقبلون أنباء الأرصاد الجوية بوقوع خسوف أو كسوف أو هطول أمطار بكامل التصديق واليقين، على الرغم من أنها أنباء غيبية تتعلق بماض طواه الزمن عن التجربة والشهود، أو تتعلق بمستقبل لم ينشره الواقع الزمني بعد... وإنما مستندهم العلمي في ذلك، الخبر المتواتر الذي تنقله جموع كثيرة عن مثلهم إلى مصدر الخبر بحيث يستحيل اتفاقهم جميعاً على الكذب.

الثاني: ما يسمى "بقانون التلازم" ويتم اللجوء إليه عندما لا يتوافر الخبر المتواتر الذي يثمر اليقين بمضمونه مثاله أن يستيقن أحدنا وجود الماء في سفح بعيد يراه عندما يبصر فوقه خضرة يانعة أو بيوتا مسكونة، على الرغم من أنه لم ير الماء وإنما أدلى بقرار غيبي بوجوده، وذلك اعتماداً على وجود ما يستلزمه وهو الخضرة اليانعة وسكنى الناس.

⁶ محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، دار الصديق للطباعة والنشر (دمشق) ص 144-145.

وهذان الطريقتان اللذان اعتمدهما الشيخ البوطي للاستدلال على يقينية وحجية الأمور الغيبية التي لا تخضع للتجربة كلاهما متوفران في القرآن، فالبنسبة للخبر اليقيني الذي يرقى إلى درجة المتواتر فالقرآن متواتر كله نقله جمع عن جمع يستحيل اتفاقهم عن الكذب، وكذلك الثاني "قانون التلازم" والذي تجلى ذلك في أوجه الإعجاز المتعددة التشريعي والبلاغي والعلمي،... فما اكتشف في القرآن من حقائق وما وجد فيه من اكتشافات وافقها المنطق والعقل وأيدها العلم، دل ذلك على أنه من عند إله حكيم متصف بجميع صفات الكمال منزّه عن جميع صفات النقصان.

والاعتقاد بقداسة العلوم الشرعية يفرض على المسلم قبول والتصديق ببعض الأشياء فوق طاقة عقله كخرق العادات وتخلف الأسباب عن المسببات وحدوث المعجزات، لأن الله تعالى يؤثر في الأشياء بطريقة مباشرة وإرادته مطلقة غير مقيدة بضروريات، فكل شيء ممكن له تعالى وكل حركة وكل تغيير مصدره الله تعالى، وهذا مالا يقره بعض المفكرين الذين يتجهون اتجاهها عقليا من أمثال ابن رشد(ت595هـ)⁷، بل حذر من كل دعوة لا تقوم على العقل واعتبر ذلك وقوع في اللامعقول بل في الخرافة والأساطير.⁸

2-5 عالم الغيب وأهميته في نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي :

لا تفصل نظرية المعرفة في الفكر الإسلامي عالم الغيب عن عالم الشهادة بل توازي بينهما وتعتبر الأول مكملا للثاني، أما الاختصار على الثاني دون الأول فخلل منهجي سببه التوغل في الماديات والمحسوسات، ومما يدل على عجزه وقصوره تلك الأحداث والوقائع الخارجة عن نطاق الحس والتي عجز العقل والعلم عن تفسيرها، وقد أشار أحد الباحثين إلى أهمية عالم الغيب بالنسبة للمعرفة بقوله "والاعتقاد في الغيب ينشئ في الإنسان شعورا بسعة الوجود وتنوع الموجودات وأهمية العالم المجهول... وهذا له أثره في تشكيل عقلية مرنة وغير ضيقة لها قدرة على تصور الوجود بأشكال مختلفة، وبهذا تنفتح أمام العلم آفاق جديدة غير مسبوقة ولا محدودة".⁹

⁷ عاطف العراقي، الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية أربعون عاما من ذكرياتي من فكره التنويري، دار الرشد الفاهرة، ط2.

1426هـ-2005م ص57.

⁸ المرجع نفسه ص63.

⁹ الياس بلكا، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1 1429هـ-2008م ص14.

فهذه الخصائص المجتمعة للقرآن جعلته محل إعجاب الغربيين فضلا عن المسلمين، فعبروا عن أصالته ومصداقيته وسلامته نصوصه وبعدها عن التحريف والتزييف، فهذا المستشرق الفرنسي مورييس بوكاي يقول: "الوحي القرآني مختلف أساسا عن تاريخ السابقين، فقد ترتب نزوله على الرسول ﷺ منجما على مدى عشرين سنة بواسطة الملك جبريل، وحفظ غيبا من المؤمنين وسجل كتابة ومحمد على قيد الحياة، وقد استفاد آخر جمع للقرآن وتدقيق له بعد وفاة الرسول ﷺ بفترة تتراوح ما بين اثني عشرة وأربع وعشرين سنة وبإشراف الخليفة عثمان من المراقبة المتخذة من أولئك الذين كانوا يحفظون النص غيبا من أيام الوحي ويتلونه دائما وبتتابع، وهكذا فقد كان النص من ذلك الوقت محفوظا بطريقة دقيقة جدا الأمر الذي يفرض أن نقول بأن أصالة القرآن متفق عليها وليست محل كلام".¹⁰

ويقول في موضع آخر: "إن لأصالة نص القرآن مكانة منفردة بين كتب الوحي لا ينازعه فيها العهد القديم ولا الجديد اللذين طرأت عليهما تعديلات وتغييرات على خلاف القرآن لأنه دون في عهد الرسول ﷺ".¹¹

3-مناهج التأصيل بين العلوم الشرعية والاجتماعية:

1-1منهج تمحيص السنة:

ما يميز القراءان عن السنة أنه متواتر كله ولم تتوفر هذه الخاصية للسنة، ولذلك وجب التأكد منها بجميع الطرق الممكنة، وقد اتبع المسلمون في سبيل تمحيصها منهجا بديعا يقوم على وضع شروط للحديث للتأكد من سلامته، وقد استخلصت من تعريف الحديث الصحيح والذي عرف بما يلي: "هو الحديث المسند الذي يتصل إسنادة بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا ولا معللا".¹²

من هذا التعريف يمكن لنا أن نحدد أهم الشروط الحديث الصحيح وهي:

- اتصال السند وعدم انقطاعه .
- عدالة الرواة وصدقهم .
- الضبط والحفظ.
- الخلو من الشذوذ والعلة القاذحة.

¹⁰ مورييس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي بيروت (لبنان) ط03 1411-

1990م، ص292-293.

¹¹ المرجع نفسه ، ص156.

¹² احمد محمد شاكر، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، دار الكتب العلمية بيروت (لبنان) ص19 .

وقد وضع أحمد شاکر منهج المحدثين والقواعد التي اتبعوها في التحقيق والأصول التي يقوم عليها بقوله: " واجتهد علماء الحديث في دراسة الأحاديث وإن لم تبلغ درجة الصحة، ثم اجتهدوا في التوثق من صحة كل حديث وكل حرف رواه الرواة، ونقدوا أحوالهم ورواياتهم، واحتاطوا أشد الاحتياط في النقل، فكانوا يحكمون بضعف الأحاديث لأقل شبهة في سيرة الناقل الشخصية مما يؤثر في العدالة عند أهل العلم، أما إذا اشتبهوا في صدقه، وعلموا أنه كذب في شيء من كلامه فيرفضون روايته، وسموا حديثه (موضوعا) أو (مكذوبا) وإن لم يعرف عنه الكذب في رواية الحديث، مع علمهم بأنه قد يصدق الكذب.

وكذلك توثقوا من حفظ كل راو وقارنوا رواياته بعضها ببعض وبروايات غيره، فإن وجدوا منه خطأ كثيرا وحفظا غير جيد، ضعفوا روايته، وإن كان لا مطعن عليه في شخصه ولا في صدقه، خشية أن تكون روايته مما خانه فيه الحفظ.

وقد حرروا القواعد التي وضعوها لقبول الحديث وهي قواعد هذا الفن، وحققوها بأقصى ما في الوسع الإنساني احتياطا لدينهم، فكانت قواعدهم التي ساروا عليها أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاهها وأدقها وإن أعرض عنها - في هذه العصور المتأخرة - كثير من الناس، وتحاموها بغير علم منهم ولا بينة".¹³

وقد أشاد بهذا المنهج كثير من المستشرقين يقول موريس بوكاي: "ليس القراءان وحده هو المصدر الوحيد للعقيدة والشريعة الإسلامية بل إن السنة النبوية من أقوال النبي ﷺ وأفعاله هي المصدر الثاني الذي عني العلماء بطلبه تكملة للمصدر الأول، حتى أثناء حياة النبي ﷺ فضلا عنه بعد وفاته، وكانت معلومات هذا المصدر تعتمد فقط على النقل الشفهي، لذلك فإن الذين بادروا إلى جمع هذه الأقوال والأفعال في نصوص قد قاموا بتحقيقات تتسم دائما بالصعوبة كما هو الشأن في حكاية جمع الأحداث بعد انقضائها، ولهذا كان همهم الوحيد في عملهم العسير في مدوناتهم منصبا أولا على دقة الضبط لهذه المعلومات الخاصة بكل حادثة في حياة محمد ﷺ وبكل قول من أقواله، ولذلك قد نصوا على أسماء الذين نقلوا أقوال النبي ﷺ وأفعاله وذلك في الصعود في الإسناد إلى الأول في أسرة النبي ﷺ ومن صحابته ممن قد تلقوا هذه المعلومة مباشرة منه".¹⁴

¹³ أحمد محمد شاکر (مرجع سابق)، ص 06.

¹⁴ موريس بوكاي (مرجع سابق) ص 283.

2-3 منهج تحقيق الرواية عند الغربيين:

إذا كان التروي والتثبت والتحري يطبع منهج تحقيق الرواية عند المسلمين، فإن غيرهم من الغربيين اتبعوا مناهج غير دقيقة نذكر منها المنهج الاستردادي أو منهج التوسم، عمدته الأولى ما قد يتمتع به الباحث من عمق الملاحظة ودقة الوجدان واتساع دائرة الخيال والأداة التي يستخدمها الباحث ملاحظته ووجدانه وخياله، وكل ما قد يقع عليه من آثار وأحداث ووثائق وكيفية البحث، هي أن يعكف الباحث على ما تجمع لديه من هذه الآثار أو الأحداث، فيقدح فيها الملاحظة والوجدان والخيال ليستنتج من وراء ذلك ما قد يطمئن إليه من مبادئ وأحكام ووقائع.¹⁵

يقول عنه الشيخ البوطي: "وهو منهج لا يملك أخيراً مهما جمع من العدة والوثائق إلا سبيلاً واحداً وهو سبيل الاستنتاج الفكري بل الغيبي المجرد، وما كان الاستنتاج المجرد عن التجربة والمشاهدة والاستقراء التام والرواية الصادقة إلا رديف الوهم والشك".¹⁶

ثم يضرب مثلاً بأحد المواضيع العلمية ألا وهي ظاهرة الوحي وطريقة تناول كل من الفكرين الإسلامي والغربي لها:¹⁷ فالمنهج الذي سلكه علماء المسلمين في هذه المسألة هو تحقيق الرواية وضبط اللفظ والسند، ولقد انتهى علماء المسلمين كلهم إلى أن حديث الوحي صحيح ورد بطرق مختلفة تجاوزت حد التواتر المعنوي، أما المنهج الذي اتبعه الغربيون هو: - أنهم أخذوا كلمة الوحي على اعتبارها أثراً أو حادثة مهمة خلفها التاريخ.

- أعمال الحدس والتخمين في استنتاج ما قد يدركه التوسم والوجدان والخيال من هذه الحكمة.

وكانت النتيجة التي توصلوا إليها في أمر الوحي على أعقاب ذلك أن اختلفوا فيه على مذاهب متفرقة فمنهم من انتهى إلى أن الوحي إنما هو حركة فكرية داخلية أو نوع من الإلهام النفسي، ومنهم من زعم أنه إشراق روحي جاء عن طريق الكشف التدريجي، ومنهم من لم يجد أي غضاضة في أن يقرر أن الوحي لم يكن أكثر من نوبات صرع كانت تنتاب الرسول ﷺ بين الحين والآخر.

¹⁵ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر المعاصر بيروت (لبنان) ط02 1997م، ص48.

¹⁶ المرجع نفسه، ص48.

¹⁷ محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص50.

ثم يشر إلى أهمية الرواية وأثرها في اختلاف الفريقين: "وليس ثمة مطمع في أن يلتقي هؤلاء ومفكرو الإسلام على صراط واحد من الفهم في الأمر، إذ أن هؤلاء قد أسقطوا من اعتبارهم أمر الرواية والخبر وقيمتها العلمية سلبا وإيجابا، أي أنهم استجازوا لأنفسهم تجاهل الرواية الصحيحة المتواترة كما استجازوا في نفس الوقت اختراع تفسير لا يدعمه أي خبر أو رواية صحيحة".¹⁸

ثم يجيب عن سؤال مهم لماذا عجز الفكر الغربي إلى اليوم عن اتخاذ منهج علمي بصدد تحقيق النقول على الرغم من أهمية الأمر في ذلك وعلى الرغم من أنه يشكل نصف المسافة إلى تحقيق كثير من القضايا العلمية المختلفة؟

والجواب أن القيام بأعباء تحقيق النقول والروايات يكلف جهدا شاقا وعنيفا دون أن يوجد في الظاهر مردود من الكسب المادي له، وتحمل جهد من هذا القبيل لا يكون إلا إذا وجد من ورائه دافع يتغلب في قوته على شدة ذلك الجهد في حين توفر هذا الدافع للعلماء المسلمين، فهم مكلفون باقتفاء أثر الرسول ﷺ وبالحرص كل الحرص على أن لا يمتزج الواقع اليقيني المتعلق بحياته وسيرته وأقواله بما قد يندس إليه من وهم أو كذب أو افتراء.¹⁹

3-3 دعوة القراءان للتثبت والتحري:

من الخصائص والصفات التي تثبت أصالة القراءان الكريم هي ما وجد فيه من آيات تدعو إلى التروي والتثبت من حقيقة ما يصادفه المرء في حياته قبل أن يتخذ موقفا تجاهه، وقد ركز القراءان الكريم على هذا الجانب حتى لا يقع المسلم في سلسلة من الأخطاء، وقد عرض القراءان الكريم هذا الموضوع بأساليب شتى حتى يصبح حقيقة راسخة،²⁰ فهؤلاء فتية أهل الكهف الذين ربط الله على قلوبهم يقولون ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ (الكهف: 15)

وإذا كان الله تعالى يريد من عباده أن يتبينوا فإنه يساعدهم على ذلك فهو يرسل رسله بالآيات البينة التي تقنع المطلع عليها وتجعله على بينة من أمره وفي هذا يقول القراءان الكريم ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ (المؤمنون: 45)

¹⁸ المرجع نفسه، ص 50.

¹⁹ المرجع نفسه، ص 51.

²⁰ عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم (دمشق) ط 1429-2008م، ص 51 وما بعدها.

وفي الوقت نفسه قرر القرءان الكريم عدم صلاحية الظنون في بناء المعلومات، وشنع على أولئك الذين يركنون إليها حيث أن الظن متأرجح بين الشك واليقين وحين نسوق الظنون لاتخاذ مواقف جادة والحكم في مسائل كبرى، فإن ذلك يكون مجازفة كبرى تنتج أوخم العواقب وقد عبر القرءان الكريم عن ذلك بتعابير مختلفة منها ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبِئُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ (الحجرات: 12)

فهذا غيض من فيض من النصوص المتواترة الموجودة في ديننا الإسلامي الرامية إلى غرس قيم التثبت والتحري في نفوس المؤمنين والبعد عن الظنون والأوهام وبناء الأحكام على القطعيات واليقينيات لا على الظنريات وقد شكل ذلك منهجا معتمدا في الفتوى والقضاء والكتابة وسائر المعاملات...

وهو ما شكل فرقا جوهريا بين مناهج المسلمين وبين غيرهم التي خلت من الضبط والتحري والسبب غياب مثل هذه النصوص.

وبعد التأكد من صحة الرواية عمل المسلمون على تجسيد مبادئ الدين فعليا ورد كل ما يتنافى معه وهو ما تجلى في تعاملهم مع تراث غيرهم وكذلك تجديدهم في المناهج البحث العلمي انطلاقا من مبادئ دينهم وهذا ما سنبينه.

4-3 علماء المسلمين والتراث اليوناني:

لا ينكر أحد استفادة علماء المسلمين من التراث اليوناني فقد نقلت الحضارة العربية عن الحضارة الإغريقية وبالتالي تعتبر حلقة الوصل ما بين الحضارات السابقة وحضارة أوروبا التي ظهرت في عصر النهضة، لكن ما طبيعة هذا النقل هل اكتفى علماء الإسلام بعلوم الإغريق كما هي أم أضافوا عليها بصمتهم الخاصة وكيفوها بما يتلاءم مع مبادئهم ومعتقداتهم؟

يقسم علي سامي النشار مواقف علماء المسلمين من التراث اليوناني إلى ثلاثة أقسام:

1-فلاسفة الإسلام:

قبلوه كوحدة فكرية كاملة واعتبروه قانون العقل الذي لا يتزعزع وحاولوا التوفيق بين العناصر غير الأرسططاليسية وبين منطق أرسطو²¹، ويأتي ابن رشد في مقدمة هؤلاء الذين لم يسلم موقفهم من النقد يقول عاطف العراقي: "وحتى محاولات التوفيق بين الدين والفلسفة التي تزعمها العديد من فلاسفة الإسلام بدءاً من الكندي إلى ابن رشد لم تحقق النجاح المرجو والأهداف المرجوة"²²، ويقول علي سامي النشار: "وانقسم الشرح الإسلاميون أمام هذا المنطق إلى فريقين فريق مشائي وفريق رواقى ، أما الفريق الأول فلم ير -اللهم إلا ابن رشد وأبو البركات البغدادي في بعض الأحيان -في هذا التراث أي تعارض أو تناقض، واجهوه بالمنهج التوفيقي -هذا المنهج الذي كان ميزة الإسلاميين في بحثهم لشتى نواحي المعرفة الإنسانية فجاء مزاجاً غريباً من عناصر شتى"²³.

2-الأصوليون والمتكلمون والمناطق:

ويمكن تقسيم رأيهم إلى قسمين:

- المتأخرين مالوا إلى الرواقية ورفضوا كثيراً من عناصر منطق أرسطو، وهؤلاء هم الشراح الإسلاميون الرواقيون ولكنهم لم يقفوا عند هذا الحد فحسب بل أضافوا أبحاثاً خاصة بهم. -متقدمين: لم يقبلوا المنطق الأرسططاليسي على الإطلاق وحاولوا إقامة منطق جديد بالكلية في جوهره.²⁴

3- موقف فقهاء أهل السنة والجماعة والصوفية حاربوا المنطق وقاوموه وكان لهم نفس موقف الأصوليين والمتكلمين المتأخرين ومن أعلامهم في ذلك ابن تيمية (ت.728هـ) والسهورودي (ت.632هـ).²⁵

ويمكن ضم رأي الأستاذ علي سامي النشار للموقف الثالث الذي يرى أن علماء المسلمين حاربوا المنطق الأرسططاليسي فيقول موضحاً فكرة أن المنهج في العالم الإسلامي كان أرسططاليسياً إن في كياناته وإن في تفصيلاته.²⁶ بقوله: "وقفت أمام هذه الفكرة بعد

²¹ البوطي، كبرى اليقينيّات الكونية، ص30.

²² عاطف العراقي (مرجع سابق) ص113.

²³ علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص36.

²⁴ المرجع نفسه، ص31.

²⁵ المرجع نفسه ص31.

²⁶ نفسه ، ص10.

دراسة عميقة للمنطق الأرسططاليسي موقف الشك والارتباب، إن هذا المنطق هو منهج البحث في علوم اليونان الفكرية والفلسفية منها على الخصوص، يتصل بها أوثق اتصال وتختلط أبحاثه وتتشابك بأبحاثها، ثم إن هذا المنطق هو أدق تعبير عن الروح اليونانية في نظرتها إلى الكون وفي محاولتها إقامة مذاهبها في الوجود، وقد لفظ الإسلام علوم اليونان الفكرية لفظاً قاسياً وحاربها أشد محاربة كانت الروح الإسلامية تستمد مقوماتها من بيئة مخالفة وجنس مخالف وتصور حضاري جديد، وتنأى أشد النأي عن النظر في العوالم اليونانية الفكرية المختلفة، فكان من المحتم أن يكون لها منهج في البحث مختلف أشد الاختلاف عن منهج اليونان تستمد مقوماته من حضارته العلمية بحيث يكون طابع تلك الحضارة الأساسي وجوهه الوحيد".²⁷

3-5 أنواع مناهج البحث العلمي وتجديد علماء المسلمين فيها:

إن المناهج الرئيسية الثلاثة للبحث العلمي تكمن في ثلاثة²⁸:

1- المنهج الاستدلالي أو الرياضي:

وهو الذي يسير فيه من مبدأ إلى قضايا تنتج عنه بالضرورة دون التجاء إلى التجربة وهو منهج العلوم الرياضية.

2- المنهج التجريبي:

ويشمل الملاحظة والتجربة معا وهو الذي نبدأ فيه من جزئيات أو مبادئ غير يقينية تماما، ونسير منها حتى نصل إلى قضايا عامة لاجئين في كل خطوة إلى التجربة كي تضمن لنا صحة الاستنتاج وهو منهج العلوم الطبيعية على وجه التخصيص.

3- المنهج الاستردادي أو التاريخي:

وهو الذي نقوم فيه باسترداد الماضي تبعاً لما تركه من آثار أيا كان نوع هذه الآثار، وهو المنهج المستخدم في العلوم التاريخية والأخلاقية منها حتى نصل إلى قضايا يقينية.

ملاحج التجديد في مناهج البحث عند علماء المسلمين:

سبقت الإشارة إلى أن علماء المسلمين حاربوا التراث اليوناني، مما يفرض عليهم الإبداع والتجديد والإتيان بمناهج مفيدة للإنسانية وفي نفس الوقت تتوافق مع معتقداتهم وفي ما يلي أهم ملاحج ذلك:

²⁷ نفسه ، ص 11.

²⁸ عبد الرحمن بدوي-مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، ص 18-19.

1- المنهج الاستدلالي:

بعد نزول القرآن الكريم ودعوته المسلمين للبحث والاجتهاد ، وبعد حركة الفتوحات الضخمة مع شعوب وأمم كانت أعرق في الحضارة وأعتق عهدا بالعلم، ومن خلال حركة ترددية بين نصوص الكتاب والسنة والمشكلات الجديدة التي تواجههم نمت لديهم مجموعات من القواعد والمفاهيم التي تضبط الاستدلال وتخصب الخيال، وتلك القواعد هي ما يسمى بعلم أصول الفقه هذا العلم الذي سبق إلى التأليف فيه عربي صميم هو الإمام الشافعي (204هـ) حين ألف كتاب (الرسالة) وحين ألف كتاب (القياس)²⁹ ، وقد تجاوز علماء الإسلام المنطق اليوناني في جانبين مهمين:

- الاعتماد على القياس الفطري وتحديد مجالاته وعلاقته بالنص.

- إرساء منهج للتجريب يساعد على مواجهة الطبيعة والكشف عن السنن الكونية بغية اعمار الأرض واستنباط خيراتها.

وفي الجانب الأول فإن مجتهدى المسلمين اعتمدوا على تفجير الطاقات العربية من أجل فهم النصوص مع الإحاطة بظروف ورودها وذلك بغية العمل بالنص على وضع يفهم من النص ذاته، وقلبوا النص على كل الوجوه التي يمكن أن نستنتج شيئا جديدا كما قاموا بالجمع بين النصوص الكثيرة المختلفة وخلصوا إلى أحكام محددة تستنبط منها في ضوء الروح العام للشريعة الإسلامية، وأفاضوا في البحث في دلالات الألفاظ من حيث وضوحها وإبهامها، وقسموا الألفاظ الواضحة إلى أقسام كالظاهر والنص والمفسر والمحكم، وقسموا المبهم إلى أقسام كالمشكل والمجمل والخفي والمتشابه، كما بحثوا في طرق دلالة الألفاظ على الأحكام، وتحدثوا في هذا السياق عن عبارة النص وإشارته، كما تحدثوا عن دلالاته والحالات التي يفيد فيها القطع والظن، كما تحدثوا عن مفهوم الموافقة والمخالفة وقوة إلزامها في مجالات التشريع ...³⁰

وقد اتسمت بحوثهم في هذا المجال بجدية نادرة المثال لقحت عقول علماء المسلمين وصقلتها على مدار مئات المسلمين.³¹

²⁹ عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ص 108.

³⁰ المرجع نفسه، ص 111.

³¹ نفسه، ص 112.

2- المنهج الاستقرائي والتجريبي:

يعتبر الاستدلال الاستقرائي وسيلة قوية في اثبات الأحكام والنظريات والقضايا، من أجل ذلك نال حظه الأوفر عند علماء الشريعة خاصة الأصوليين، وغالبا ما يتوهم أن هذه الوسيلة هي نتاج فلاسفة اليونان والحقيقة خلاف ذلك، فالقرآن أرشد إليه ودعا إلى استعماله في مواطن عديدة بل اتخذته وسيلة من وسائل الاستدلال على سنن الله تعالى في الخلق وعلى دلائل قدرته الكونية، فتفطن له الفقهاء واستعملوه في اثبات الأحكام ولم يكن معروفا بهذا المصطلح بل كانوا يطلقون عليه إلحاق الفرد بالأعم الأغلب³²، فمن الآيات التي اتخذ فيها القرآن الكريم المنهج الاستقرائي للاستدلال ما يأتي: قوله تعالى: ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۝٣٨﴾ (الإسراء: 38) وَرَدَ هذا بعد استقراء الآيات السابقة أمهات الرذائل التي ينبغي اجتنابها وقوله أيضا: ﴿وَرُحْرُقًا ۝٣٩﴾ (الزخرف: 35)، ورد هذا بعد استقراء الآيات السابقة لأعظم الملذات التي يمكن أن يطمح إليها الإنسان في هذه الدنيا

ومن الآيات التي دعا فيها القرآن الكريم الناس إلى استخدام الاستقراء منهجاً قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُكَذِّبِينَ ۝١١﴾ (الأنعام: 11) وقوله أيضا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَقِبُهُ الْمُجْرِمِينَ ۝١٦﴾ (النمل: 69) وقوله أيضا: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠﴾ (العنكبوت: 20)

فإذا كان مؤرخو العلم من الأوروبيين أنكروا فضل العرب الفيلسفي فإنهم لم يستطيعوا على الإطلاق إنكار فضلهم العلمي، فأفكار الحسن بن الهيثم عاشت في أوروبا إلى زمان ليس ببعيد عنا، كما نعلم أن أبحاث الطوسي في الرياضيات وتناوله لهندسة أقليدس ومصادراته، بقيت زمنا طويلا يتناولها علماء أوروبا، كما نعلم وأن كتاب ابن سينا الطبي – القانون بقي المرجع الأساسي لكليات الطب في أوروبا حتى القرن السابع عشر وما زالت عناية الباحثين بالعلم العربي قائمة على أشدها، يعنون بمكانته في التراث العلمي وقد وجه الأنظار إلى قيمة هذا العلم مؤرخ تاريخ العلم الإنساني الأستاذ سارتون.³³

³² العبدية حمزة، توظيف الاستقراء في استنباط المقاصد الشرعية، مجلة الحضارة الإسلامية ع 26 م 2015 أوت 2015 ص 193

³³ علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الإسلام، ص 331.

والسبب في تطور العلم عند العرب هو اكتشافهم للمنهج الاستقرائي³⁴ ، والذي يعتبر منهج العلم الفالقرافي (ت684هـ) العالم الأصولي وهو بصدد بحثه لمسلك الدوران في أصول الفقه يقول: الدورانات عين التجربة وقد تكثر التجربة فتفيد القطع ، كما أن رضا الدين النيسابوري(ت405هـ) يؤكد يؤكد أن جملة كثيرة من قواعد علم الطب إنما تثبت بالتجربة وهي الدوران بعينه ورأينا ابن تيمية -مؤرخ المنهج الاستقرائي - يخوض في التجريبيات ويقرر أنها طريق العلم وبخاصة الطب.³⁵

المنهج التاريخي:

قلد منهج علماء الحديث كثير من العلماء في أكثر الفنون النقلية فقلدهم علماء اللغة وعلماء الأدب وعلماء التاريخ وغيرهم ، فاجتهدوا في رواية كل نقل في علومهم بإسناده وطبقوا قواعد هذا العلم عند إرادة التوثيق من صحة كل نقل أهمهم ابن خلدون (ت808هـ) الذي أولى عناية فائقة لنقد الأخبار الداخلية قبل النظر في مضامينها، واعتبار طبائع الأشياء وما جرت به الأحوال ويمكن تركيز أفكاره النقدية في ما يلي:

- ضرورة قياس الغائب من الأحوال على الشاهد ، لأن الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء أي ما تحيله العادة الآن يكون من قبل مستحيلا، ويضرب ابن خلدون مثلا لذلك فقد ذكر المسعودي من أن موسى عليه السلام أحصى من يطيق حمل السلاح من بني إسرائيل في التيه فوجدتهم (ستمائة ألف) ويرى هذا من خرافات العوام، لأن يعقوب عليه السلام ومن معه من أولاده حين وفدوا على مصر كانوا سبعين وكان مقامهم بمصر إلى أن خرجوا مع موسى مائتين وعشرين سنة، ويبعد أن يكثر النسل إلى هذا الرقم الكبير يقول واعتبر ذلك بالحاضر الشاهد والقريب المعروف تجد زعمهم باطلا ونقلهم كاذبا.³⁶

- اقتران الأخبار بالدلائل التي تدل عليها فابن خلدون يرد الأخبار التي تفتقر للأدلة، فقد رد تفسير الطبري الثعالبي لقوله تعالى (ارم ذات العماد) الفجر 07 حيث جعلوا ارم اسم لمدينة وصفت بأنها ذات العماد أي الأساطين، وذكروا أن شداد بن عاد سمع وصف الجنة فقال: لأبنين مثلها فبنى مدينة في صحاري عدن (300) سنة وكان عمره (900) سنة وأنها مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من الزبرجد والياقوت، يقول ابن

³⁴ المرجع نفسه، 331.

³⁵ المرجع نفسه، 335.

³⁶ عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، ص. 160

خلدون: "وهذه المدينة لم يسمع لها خبر من يومئذ في شتى بقاع الأرض وصحاري عدن التي زعمت أنها بنيت فيها هي وفي وسط اليمن، وما زال عمرانه متعاقبا والركاب والأدلاء تنفض طرقه من كل وجه ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها أحد من الإخباريين ولا الأمم. -يقر ابن خلدون أن لكل حادث من الحوادث ذاتا كان أو فعلا طبيعة تخصه في ذاته وفي ما يعرضه من أحوال، فلذا ينبغي على السامع معرفة طبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياته لأن ذلك يعينه على تمحيص الخبر وتمييز الصدق من الكذب، فيذكر المسعودي أن الإسكندر لما صدته دواب البحر عن بناء الإسكندرية اتخذ تابوتا من خشب وفي داخله صندوق من زجاج فركب فيه وغاز في البحر، حتى رسم صور تلك الدواب الشيطانية التي رآها، وعمل تماثيلها من أجسام معدنية، ونصبها بحذاء البنيان، ففرت دواب البحر حين خرجت، ورأته ويرى ابن خلدون استحالة ذلك لأن الملوك لا تغامر بأنفسها في مثل هذا، ولأن الشياطين لا صور لها، ولأن الهواء الذي في البيت الزجاجي لا يكفي الجالس فيه- لنقص الأكسجين فيؤدي إلى هلاكه.³⁷

3-6 قصور المناهج الغربية:

في مقابل المناهج الإسلامية التي اعتمدت على مناهج مقتبسة من القرآن الكريم على غرار المنهج التجريبي والذي أصله المنهج الاستقرائي وكذلك المنهج الاستدلالي فإن غير المسلمين توصلوا إلى بعض المناهج التي يعتمدون عليها في دراسة الظواهر الاجتماعية والتي من بينها:

المنهج الوصفي: يعرف بأنه أحد أشكال التحليل والتفسير العلمي المنظم الوصف لظاهرة أو مشكلة محددة، وتصويرها كميا عن طريق جمع البيانات ومعلومات معينة عنها وتصنيفها وتحليلها وإخضاعها للدراسة الدقيقة.³⁸

منهج دراسة الحالة: يطلق على اسم المنهج المونوجرالي وتعني المونوجراليا عند علماء الاجتماع الفرنسيين وصف موضوع مفرد، أي القيام بدراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة.³⁹

³⁷ المرجع نفسه، ص 162.

³⁸ محمد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة نور 2020، ص 163.

³⁹ المرجع نفسه، ص 171.

القياس السوسيومتري: في أبسط تعريف له: هو مجموعة من الأسئلة تطرح على المفحوص لمعرفة اختياره أو رفضه لأعضاء الجماعة التي ينتمي إليها بالنسبة لمواقف اجتماعية محددة، وبطبيعة الحال لأن ذلك يتطلب بالضرورة ترتيب الأعضاء حسب اختياره أو رفضه،⁴⁰ وهو اتجاه اتجهت إليه العلوم الاجتماعية منذ العشرينات من القرن الماضي لغرض تقريها من الموضوعية، ويصبح القياس أحد الأدوات المنهجية القادرة على تمكين القضايا المطروحة على العلوم الاجتماعية من أن تكون قضايا علمية أي قابلة للاختبار والتحقق⁴¹.

والإشكالية التي تواجه الدراسات الخاصة بالعلوم الاجتماعية أنها تعتمد على العينة والتي غالباً ما تكون عبارة عن استبيان يحتوي مجموعة من الأسئلة، فعلى خلاف العلوم التجريبية التي تمتاز فيها عينة الدراسة بالثبات والدقة فإنها على العكس من ذلك، إذ تخضع في العلوم الاجتماعية على مدى صدق المستجوبين وتفاعلهم مع الأسئلة المطروحة مما يجعل نتائجها غير دقيقة وهو ما عبر عنه أحد الباحثين بقوله: "المشكلة التي تواجه العلوم الإنسانية بصفة عامة تتمثل أن المتحوص قد لا يكون على درجة عالية من الصدق والإفصاح عن مشاعره تجاه الآخرين، وهي عقبة تقف حائلاً دون التوصل إلى معلومات دقيقة عن اختيارات الأفراد."⁴²

3-7 الفهم الحداثي وجنائيته على الفكر الإسلامي:

سعى الاتجاه الحداثي إلى التقليل من أهمية الوحي وإلغاء القداسة عنه وزحزحة مكانته كمصدر أول من مصادر المعرفة لدى المسلمين وذلك بالاستعانة بنظريات ومناهج غربية، ولذلك لجأ إلى قراءة النصوص وتفسيرها تفسيراً يتوافق مع مبادئه ومعتقداته وعندما يستعصى عليه ذلك يلجأ إلى التأويل، ويعتبر العقل السلاح الأساسي والوسيلة الناجعة التي استند إليها الحداثيون في تعاملهم مع النصوص الشرعية، فلقد اعتبر الجابري أن العقلانية من السمات الأساسية للحدثة إذ لا يمكن تحقيقها بدون سلاح العقل والعقلانية⁴³، ومن الأمثلة التي نسوقها رفض الجابري وتأويله لكثير من الغيبيات المجمع

⁴⁰ المرجع نفسه، ص 245.

⁴¹ المرجع نفسه ص 244.

⁴² نفسه، ص 256.

⁴³ محمد الشيخ، المفكرون المغاربة والحدثة، قراءة في ستة مشاريع فكرية مغربية، سلسلة شهرية، المعرفة للجميع، منشورات رمسيس، ع 34 مارس 2007م، ص 85.

عليها في القرآن كخبر انشقاق القمر وخبر الإسراء والمعراج الواردين في القرآن الكريم.⁴⁴ والمنهج نفسه استعمله مع السنة، فالأحاديث التي احتوتها إنما هي صحيحة بالنسبة للشروط التي وضعها أصحابها لقبول الحديث ويمكن أن تختلف الشروط من شخص لآخر فما هو صحيح عند البخاري يمكن أن يكون دون ذلك عند غيره.⁴⁵

فما يهدف إليه الحداثيون هو تجاوز الفهم التراثي للتراث أي تجاوز ذلك الفهم الذي يأخذ أقوال الأقدمين كما هي سواء تلك التي يعبرون فيها عن آرائهم الخاصة أو التي يروون من خلالها أقوال من سبقوهم، وذلك بسبب من أن الطابع العام الذي يميز هذا النوع من المنهج هو الاستنساخ والانخراط في إشكاليات المقروء والاستسلام لها وهو فهم يعاني على الجملة من آفتين اثنتين: غياب الروح النقدية وفقدان النظرة التاريخية فإن نحن أدركنا ذلك سرنا أنها نحو فهم حدائي للتراث أو رؤية جديدة للتراث.⁴⁶

ويرى بعض الباحثين أن تطبيق هذا المنهج أو هذا المشروع يصطدم بواقع ألا وهو طبيعة المناهج والمفاهيم والنظريات التي تبلورت حول الإنسان والمجتمع الغربي وهي محكومة بالبعد التاريخي والتطورات التي عرفتتها هذه المجتمعات، وهي قادرة على استيعاب الواقع الاجتماعي للعالم العربي، وإصلاح هذه العلوم يتم من خلال: نقد العلوم الاجتماعية الغربية بإثبات نسبيتها ومركزيتها وتبيان أن المقدمات المنطقية التي انطلقت منها العلوم الاجتماعية الغربية تختلف عن التصورات الإسلامية عن الإنسان والكون والوجود والحياة والحل يتمثل في الدعوة إلى تأصيل العلوم الاجتماعية انطلاقاً من الرؤية المعرفية الإسلامية⁴⁷ لذلك وجدت عدة محاولات لإسلامية المعرفة أبرزها محاولات الفاروقي الذي يعرفها بـ "إعادة صياغة المعرفة على أساس من علاقة الإسلام أي إعادة تحديد وترتيب المعلومات، وإعادة النظر في استنتاجات هذه المعلومات وترباطها وإعادة تقويم النتائج وإعادة تصور الأهداف ، وأن يتم ذلك بطريقة تمكن من إغناء وخدمة قضية الإسلام".⁴⁸

⁴⁴ د محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم، ج 01 في التعريف بالقرآن، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 01 بيروت، أكتوبر 2006م، ص 217.

⁴⁵ محمد عابد الجابري قضايا في الفكر والدين، ص 08 نقلا عن الفهم الحدائي للنص الديني بين دعاوى الاجتهاد المنضبط والتجديد المتفلت أ.د محمد بن زين العابدين رستم ص 17.

⁴⁶ محمد الشيخ، المفكرون المغاربة والحدائفة (مرجع سابق) ص 82.

⁴⁷ ماهر باشا عبد الحليم، تأصيل العلوم الاجتماعية في الفكر العربي، مجلة الباحث الاجتماعي، ع 11 مارس 2015 جامعة سطيف، ص 31

⁴⁸ اسماعيل الفاروقي، اسلامية المعرفة المبادئ العامة، خطة عمل الانجازات، ط 01 دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، 2001م، ص 54.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث يمكننا تسجيل النقاط التالية:

- يعتبر الوحي الإلهي مميزا حاسما وفارقا جوهريا بين العلوم الشرعية التي وازنت في تركيبها بين الغيب والعقل والعلوم الاجتماعية الموغلة في الحس والتجربة، وقد كان معيارا يتعامل به المسلمون مع تراث غيرهم، فهو الذي أملى عليهم رفض كثير من التراث اليوناني وتكييفه بما ينسجم مع مبادئهم وهو الذي سبب أزمة مناهج العلوم الاجتماعية في البيئة الإسلامية .

- إن دعوة الإسلام للتحري والتثبت وبناء الأحكام على اليقينيّات والقطعيّات والابتعاد عن الشبه والظنيّات، دفع بعلمائه إلى تكثيف جهودهم وبذل ما في وسعهم وطاقاتهم وطرق كل الأبواب والسبل التي توصلهم للحقيقة ويأتي منهج المحدثين في المقدمة وقد حدا حدوهم الأصوليون والمؤرخون، في حين نلاحظ قصور المناهج الغربية وعدم وصولها للدقة التي تتمتع بها المناهج الإسلامية.

- إن أوجه الإعجاز المتعددة المتجلية في نصوص الوحي قرآنا وسنة فيه دلالة على أن مصدرها إله حكيم متصف بجميع صفات الكمال، وفي المقابل نجد عجز الدراسات في ميادين العلوم الاجتماعية عن إيجاد الحلول المناسبة للأزمات التي يعيشها المجتمع الإسلامي لأنها نتيجة العقل البشري القاصر.

- إن أزمة العلوم الاجتماعية في البيئة الإسلامية يفرض علينا تحديد السبب والذي يكمن أساسا في اختلاف البيئات، فالأخيرة نشأت في بيئة غربية لا تعترف بالوحي وقد غلط كثير من الحداثيين عندما أرادوا تطبيق المناهج الغربية في البيئة المسلمة ، وهذا مما يفتح الباب على مصراعيه ويعطي آفاقا ومستقبلا للبحوث المتعلقة بإسلامية المعرفة لأنها عبارة عن حل توافقي يراعي خصائص الطرفين.

قائمة المراجع والمصادر:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- ابن خلدون، المقدمة، تحقيق شرح وفهرسة سعيد محمود عقيل، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط01 2005م-1426م
- 3- اسماعيل الفاروقي، اسلامية المعرفة المبادئ العامة-خطة عمل الانجازات، ط01 ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 2001م.
- 4- الياس بلكا، الغيب والعقل دراسة في حدود المعرفة البشرية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 1429هـ-2008م.
- 5- احمد محمد شاكرا، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، (د.ت.).
- 6-موريس بوكاي، القرآن الكريم والتوراة والانجيل والعلم، ترجمة الشيخ حسن خالد، المكتب الإسلامي بيروت (لبنان) ط03 1411-1990م.
- 7-محمد سعيد رمضان البوطي، كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط2، 1997م.
- 8- محمد سعيد رمضان البوطي، يغالطونك إذ يقولون، دار الصديق للطباعة والنشر، دمشق، (د.ت.).
- 9-محمد عبد السلام، مناهج البحث في العلوم الاجتماعية، مكتبة نور، 2020.
- 10-محمد الشيخ، المفكرون المغاربة والحداثة، قراءة في ستة مشاريع فكرية مغربية، سلسلة شهرية، المعرفة للجميع، منشورات رمسيس، ع34 مارس 2007م.
- 11-محمد عابد الجابري مدخل إلى القرآن الكريم ، ج1، في التعريف بالقرآن ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، 2006م.
- 12- عاطف العراقي، الفيلسوف ابن رشد ومستقبل الثقافة العربية أربعون عاما من ذكرياتي من فكره التنويري، دار الرشاد القاهرة، ط2، 1426هـ-2005م.
- 13- عبد الكريم بكار، فصول في التفكير الموضوعي، دار القلم (دمشق) ط05-1429-2008م.

مقالات المجلات:

- 15- العبدية حمزة ، توظيف الاستقراء في استنباط المقاصد الشرعية، مجلة الحضارة الإسلامية ع26. 2015 أوت
- 16- عبد العزيز خمسي، نص الديني بين العلوم الشرعية والعلوم الإنسانية، الحوار المتمدن، ع. 1756 - 2006 .
- 17- زكي ميلاد، التأصيل والحداثة مفارقة أم معانقة، مجلة النبأ، ع.85، 1428هـ 2007م ..
- 18- ماهور باشا عبد الحليم ، تأصيل العلوم الاجتماعية في الفكر العربي، مجلة الباحث الاجتماعي ع.11 مارس 2015 جامعة سطيف .